على المفهوم الاسرائيلي الاستبدادي، فان العدو ليس آدمياً، ولا يتمتع بحقوق انسانية؛ كما ان الفصل بين المحارب وبين غير المحارب ليس عنصراً اساسياً في هذا المفهوم؛ ذلك انه مفهوم عنصري في أساسه. وبناء عليه، فان الذمّ والاتهام يشملان الشعب بأكمله، والعقاب تغذّيه مشاعر الكراهية والانتقام دون وازع من قانون، بما في ذلك التطلّع الى عقاب غير قانوني، وحشي بأقصى الحدود»[١٦].

ولأن الصراع، بمجمله، يوضع في التجربة الاسرائيلية، خارج سياقه التاريخي، فان صورة العربي، كذلك، هي صورة ثابتة، غير قابلة للتغيّر، أو التطوّر. فصفاته السابقة جامدة وملازمة لوجوده. أورد الكاتب الاسرائيلي تسفي كاسيه: «ان الصورة التي يرسمها الاسرائيلي العادي للعالم، نجد فيها مكان العربي ثابتاً، الى درجة ان زيارة [أنور] السادات للقدس، أيضاً، لم تنجح في زحزحته؛ وهكذا يختلط علينا الواقع»[١٧].

وتبدي النخبة الحاكمة في اسرائيل ذعراً حقيقياً من امكانية تحرر العقل الاسرائيلي من شبح العدو العربي، أو مجرّد حدوث تغيّر نسبي في صورته، ممّا يعني حدوث انهيارات خطيرة في مجمل سلّم القِيَم والمثاليات التي تشكّل ليس مجرّد الثقافة السياسية السائدة راهناً، بل اسس الايديولوجيا الصهيونية عينها، وما ينبثق منها من سياسات تجاه العرب. وعلى سبيل المثال، فان صورة منظمة التحرير الفلسطينية التي تمّ رسمها، وتعميمها على الجمهور الاسرائيلي، هي صورة «عصابة من القتلة هدفها تدمير اسرائيل». وعلى الرغم من مغايرة هذه الصورة للواقع، فان النخبة الحاكمة في اسرائيل لا تزال تتعامل، داخلياً وخارجياً، مع هذه الصورة المتوهَّمة. وقد نشرت صحيفة «دافار» الاسرائيلية، في شباط (فبراير) ١٩٨٩، خبراً مفاده «ان رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، يتجاهل، منذ العام ١٩٨٦، تقارير شعبة الاستخبارات الاسرائيلية حول الاعتدال من جانب م.ت.ف.». فقد كشفت مجلة اميركية، نقلاً عن ضابط كبير في جهاز الاستخبارات الاسرائيلي، قوله: «انه، منذ العام ١٩٨٦، أعدت الاستخبارات العسكرية تقارير عدة سرية جداً، عارضت الموقف الرسمي للحكومة، القائل ان اعتدال م.ت.ف. هو حيلة اضافية من جانب المنظمة التي تهدف الى تدمير اسرائيل». وكشف الضابط الاسرائيلي عن «ان التقارير هذه، التي جاء فيها ان م.ت.ف. مستعدة للحل المتعلق باقامة دولتين منفصلتين، تمّ رفضها، بغضب، من جانب الحكومة»[١٨].

ان الحقيقتين السابقتين تشكّلان مدخلاً ملائماً لفهم الاستجابة السلبية التي يبديها المجتمع الاسرائيلي ازاء الانتفاضة الشعبية الفلسطينية.

فمن جهة، لا تزال معادلة القوة الاسرائيلية قائمة، ومتجسّدة، ولا يزال الاسرائيليون قادرين على الاعتماد على احتياطي القوة الضخم الذي تمثّله المؤسسة العسكرية الاسرائيلية. فالانتفاضة الشعبية الفلسطينية، لم تقم، وليس مطلوباً منها ان تقوم، بتدمير المؤسسة العسكرية الاسرائيلية. لقد نجحت الانتفاضة، بالفعل، في مشاغلة قسم كبير من قوات العدو، واستنزافه، وفي ارباكه، وتكبيده خسائر على صعيد المعدّات والتدريبات والتجهيزات العسكرية؛ ولكنها، وهذه حقيقة ينبغي الاعتراف بها، لا يمكن لها، في ظل الصمت العسكري المطبق على الجبهات الاخرى، ان تشكّل تهديداً جدّياً لبنية المؤسسة العسكرية، أو لدورها الوظيفي في المنطقة. لقد فتحت الانتفاضة جبهة فعّالة في عمق الكيان الصهيوني؛ ولكن هذه الجبهة لا يمكن لها ان تحقق هزيمة للعدو، اذا استمرت حالة الاستفراد والحصار المفروضة على جماهيرنا في الوطن المحتل.

واستناداً الى هذه الحقيقة، فان الجمهور الاسرائيلي لا يجد نفسه في وضع يضطر فيه الى